فلسفة الفن وعلم الجمال

أ.م زينا سالم

المر حلة الثالثة/ فنون تشكيلية

السفسطائيين:

يعتبر السفسطائيين معلمو الخطابة والفلسفة جوالون في بلاد اليونان قديما ، وعلى نحو خاص في القرن الخامس ق.م الذين فهموا الطبيعة فهماً مادياً ، ويمكن تلخيص اهم ارائهم الجمالية من خلال مناقشة ارائهم العامة . وقد اعتمدوا في وضع الانسان مقياسا للطبيعة ومقياس لكل شيء فأكدوا على عدم وجود مثال يقاس عليه أي فعل انساني ومنها الفنون، فما هو جميل لك هو الجميل وما هو الجميل لي هو جميل حقيقي.

ان تأكيد (السفسطائيين) على ان الإنسان هو المقياس والغاية والوسيلة في آن واحد يمثل الحقيقة المطلقة وكل شيء موجود أساس وجوده، هو فكر الإنسان، كل ذلك أدى بهم الى اعتماد اللذة في الفن، فأصبحت غايتهم التي يسعون اليها لذلك عدوا الفنان هو ما يقدم لهم او للناس ما يلذهم ويرضيهم، وان كانت هذه اللذة توحي بالخداع وعدم الحقيقة والوهم والخيال. " والفنان المبدع هو من اتقن فن الخداع الموجه نحو اثارة مشاعر اللذة لدى الناس حتى لو كانت خادعة استناداً إلى خداع الحواس وتصوّرها ونسبيّتها> وقد بالغوا بالشك لدرجة الشك في كل معرفة ، سواء كانت حسيّة أم عقلية ، فإذا كان لا يمكن الوثوق بالمعرفة الحسيّة بتكوين حكم إزاء العالم الخارجي بسبب خداع الحسن.

فكذلك ليس عالم العقل بأصدق من عالم الحس ، وإذا انعدمت الحقيقة أو المعرفة بعالم الحس ، فلابد أن تنعدم في عالم العقل ، ولهذا لم يعد العقل الخالص لديهم وسيلة لاكتشاف الحقيقة أو المعرفة الحقّة ، ومثلما الأشياء المادية المُرتبطة بعالم الحس عُرضة للتغيير ، كذلك الأشياء العقلية والأخلاقيات عُرضة للتغيير أيضاً ؛ بسبب ارتباطها بمُبدعها الإنسان ذاته ، والذي يخضع بدوره للصيرورة والتغيّر المُستمرّين ، لهذا اعتقدوا بذاتية ونسبية الأشياء بوصفها تختلف من زمان إلى آخر ، ومن شعب إلى آخر .

كما أوضح السفسطائيون أن القيم الجمالية يمكن أن تتغيّر بتغيّر ظروف الحياة الإنسانية ولقد ركّزت السفسطائية فلسفتها على الإنسان ، وعدّته مُنفصلاً عن قوانين الكون ، وبالغت في ذلك إلى أن وصلت إلى حد أن الإنسان عدّ من قبل)بروتوغوراس ، وهو أحد المُفكّرين السفسطائيين ، وله المقولة المهمّة "إن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً ، فهو مقياس وجود ما يوجد منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها . "وهكذا نجد أن السفسطائية أحلّت فكرة النسبية محل الموضوعية في الفكر اليوناني ، عندما حررت الفكر من سطوة الفلسفة الطبيعية المُتّجهة إلى التزام الموضوعية الكاملة في توجهها إلى ذات الفرد ، والانحراف به بوصفه كياناً مُنفرداً ومقياساً للأشياء ، بعد أن كان مضموراً في ظل النظام الاجتماعي اليوناني ، فدعا السفسطائيون الطبيعيون إلى التوقّف عن البحث في الحقيقة المُطلقة للطبيعة ؛ لانعدامها ، وتوجيه البحث إلى دراسة الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً ، ونبذوا المقاييس الموضوعية للجمال ، ولم تعد غاية الفنان سوى تحقيق الكمال في الصورة الفنية بوصفها مُعادلاً صورياً لعالم الحس وجماله العرضي ، ومن خلال الخيال وأساليب الخداع والإيهام

لقد أكد بروتاجوراس أن كل شئ من الممكن أن يتعلمه الإنسان ، وليس هناك وجود لميول فطرية . فالتعليم ليس له حدود معينة وإنما يخضع إلى ميول الإنسان ومتطلباته ويمتد إلى ابعد

المستويات . وبالتعليم يمكننا أن نحول الخير (الجمال ، الأخلاق) إلى شر (القبيح ، المفسد) والعكس بالعكس ، وهكذا في جميع الأمور الأخرى ، وله في ذلك أقوال عديدة منها : " يحتاج التعليم إلى الموهبة والمران ، ويجب أن يبدأ التعلم من الصغر " وقوله " لا نظر دون عمل ، ولا عمل دون نظر " وأيضاً " لا تنتعش الثقافة في روح الإنسان إلا إذا وصلت إلى عمق كبير .

المصادر

مطر ، اميرة حلمي ، فسلفة الجمال نشاتها وتطورها ، المصدر السابق نفسه ، ص14 .

غادة المقدم عدرة ، فلسفة النظريات الجمالية ، (بيروت : جروس برس ، 1996) ص47 .